

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم دراستنا لرسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في غلاطية، حيث عالج الرسول بولس مشكلة هامة واجهت الكنيسة عند نشوئها. أما هذه المشكلة فكانت علاقة المؤمنين في المسيح بالشرعية، أي بالناموس الذي أنزله الله قديماً على كلمته النبي موسى. وإن كان يجب عليهم لكي يخلصوا أن يعملوا بهذه الشرعية، ويمارسوا فريضة الختان أو التطهير. وهذا ما كان قد علم به بعض المعلمين من أصل يهودي، الذين هاجموا أيضاً الرسول بولس شخصياً.

فردّ عليهم الرسول بولس مؤكداً أن المخلص المسيح قد دعاه، وأعلن له شخصياً رسالة الإنجيل. لا بل إن الرسل في أورشليم أفرزوه رسولاً للتبشير بالإنجيل بين الأمم. وأكد أن الإنسان يتبرر بالإيمان بالمسيح فقط. وأن الإنسان القديم للمؤمن المستعبد للخطية، قد أدانه الله على الصليب ومات مع المسيح. وأن المؤمن الذي اتحد مع المسيح في موته، لا بد أن يتحد معه أيضاً بالإيمان في قيامته المجيدة. وهكذا يعيش حياة روحية جديدة مع المسيح الغالب المنتصر. وأن العودة إلى الشرعية هو إبطال لنعمة الله هذه.

وتابع الرسول بولس مناقشته لموضوع الشرعية وعلاقتها بالإيمان بالمسيح، فكتب قائلاً: "أيها الغلاطيون الأغبياء من رقاكم حتى لا تدعونا للحق أنتم الذين أمام عيونكم قد رُسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً." (غلاطية ٣: ١) تساءل الرسول بولس هنا كيف بإمكان هؤلاء المؤمنين الغلاطيين أن يندعوا بأقوال المعلمين الكذبة، وكأنهم وقعوا تحت تأثير ساحر، سحر عقولهم. لاسيما وأنهم اختبروا قوة ونعمة صلب يسوع المسيح.

وتابع تسأله قائلاً: "أريد أن أتعلم منكم هذا فقط. بأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان؟ أهكذا أنتم أغبياء. أبعد ما ابتدأتم بالروح تكملون الآن بالجسد؟ أهذا المقدر احتملتم عبثاً إن كان عبثاً؟ (غلاطية ٣: ٢-٤) طرح هنا الرسول بولس هذا السؤال على هؤلاء المؤمنين قائلاً: هل نلتهم روح الله القدوس عندما آمنتم بإطاعة الناموس اليهودي أي الشرعية القديمة؟ أم عن طريق خبر الإيمان بالمخلص المسيح؟ وأضاف قائلاً: هل أنتم إلى هذا الحد أغبياء حتى أنكم بعدما ابتدأتم بداية جيدة، وأخذتم تنمون بالروح القدس، تعودون الآن إلى الوراء وتحاولون بجهودكم الخاصة تطبيق الناموس، وما جاء في الشرعية؟ وهل أصبح اختباركم في

المسيح وكأنه بلا جدوى أو بلا معنى؟ حتى أنكم تتخلون عنه هكذا بسهولة، بالرغم من الآلام الكثيرة التي تألمتم بها من أجل إيمانكم بالمسيح؟

وأضاف الرسول بولس قائلاً: "فالذي يمنحكم الروح ويعمل قوات فيكم بأعمال الناموس أم بخبر الإيمان؟" (غلاطية ٥:٣) لقد أراد الرسول بولس تذكير المؤمنين في غلاطية مرة أخرى ببعض الحقائق الهامة. فهم يعلمون أنهم حصلوا على الروح القدس عندما آمنوا بالمخلص المسيح. ويعلمون أيضاً أن الروح القدس هو الذي منحهم القوة، لكي يجروا المعجزات. وأنهم لم يحصلوا على ذلك كله بواسطة العمل بالناموس.

وعاد الرسول بولس بنقاشه لموضوع أن الإنسان يخلص عن طريق الإيمان، وليس بواسطة العمل بالشرعية، عاد إلى إبراهيم الخليل وإيمانه، ليثبت حجته. فقال: "كما آمن إبراهيم بالله فحُسب له براً." (غلاطية ٦:٣) كان إبراهيم يتمتع باحترام شديد، وتقدير كبير لدى هؤلاء المعلمين من أصل يهودي، لاسيما أن اليهود يعتبرونه أباهم. مع العلم أن إبراهيم عاش قبل أن يأتي الناموس. وهنا كشف الرسول بولس أنه حتى إبراهيم قد خلص بالإيمان، وليس عن طريق أعمال الناموس. إن الله قد حسب إيمان إبراهيم براً، أي أن الله برر إبراهيم وخلصه بالإيمان، والإيمان فقط.

ولهذا أضاف الرسول بولس قائلاً: "اعلموا إذاً أن الذين هم من الإيمان أولئك هم بنو إبراهيم." (غلاطية ٧:٣) هذه حقيقة هامة يعلنها الرسول بولس، أن أبناء إبراهيم الحقيقيين هم الذين يؤمنون مثله، وليس الذين يحفظون الناموس، أو يسلكون بحسب الشريعة. فالإيمان هو الأساس وليس العمل بالناموس.

وهنا وصل الرسول بولس إلى نتيجة هامة، إذ كتب قائلاً: "والكتاب إذ سبق فرأى أن الله بالإيمان يبرر الأمم سبق فبشّر إبراهيم أن فيك تتبارك جميع الأمم. إذا الذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمن." (غلاطية ٣:٨ و٩) إن الكتاب المقصود هنا هو كلمة الله الحية كما جاءت في سفر التكوين من العهد القديم. فلقد أراد الله تبرير الأمم أي البشر جميعاً عن طريق الإيمان، ولهذا أعلن الله لإبراهيم المؤمن أنه من خلاله ستتبارك جميع الأمم. وكانت النتيجة الهامة التي توصل إليها الرسول بولس أن جميع المؤمنين ومن كل الأمم، لابد أن يباركهم الله مع إبراهيم المؤمن. وهذا تأكيد آخر لأهمية الإيمان على الناموس أو الشريعة.

لكن الرسول بولس لم يتوقف عند هذا الحد بل تابع قائلاً: "لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به." (غلاطية ٣:١٠) إذا كان الإيمان مطلوباً من الإنسان لكي ينال التبرير وبركة الله. فإن العمل بالناموس على العكس من ذلك تماماً، يجلب له اللعنة. لأن الناموس يقضي أن على

الإنسان أن يعمل بكل ما جاء فيه وليس بجزء منه فقط. فإذا خالف أحدهم وصية واحدة من الناموس أو الشريعة ولو لمرة واحدة، لاعتبر مخالفا للناموس كله، واستحق بالتالي الإدانة واللعنة. ولهذا إن كل من يريد أن يعمل بالناموس يحكم على نفسه بالإدانة واللعنة.

وأضاف الرسول بولس قائلاً: "ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر لأن البار بالإيمان يحيا." (غلاطية ٣: ١١) يعيد الرسول بولس هنا تذكير قارئه بالحقيقة المعلنة: أن لا أحد يتبرر بالناموس أمام الله. والسبب لأن الله يبرر الإنسان عن طريق الإيمان، وأن الإنسان المبرر أي البار، يحيا بالإيمان. وهذه حقيقة سبق أن دوتها لنا النبي حبقوق في العهد القديم من الكتاب المقدس. إذن لا جدوى من محاولة الإنسان تبرير نفسه، عن طريق القيام بالفرائض الدينية أو بأعمال صالحة، لأنه لن يستطيع الوصول إلى درجة الكمال. ومهما فعل سيبقى مقصرا.

وتابع الرسول بولس قائلاً: "ولكن الناموس ليس من الإيمان بل الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها. المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا كما مكتوب ملعون كل من علّق على خشبة." (غلاطية ٣: ١٢ و١٣) إن العمل بموجب شريعة الله، يعني أن الإنسان يريد أن يعتمد على نفسه، وليس على نعمة الله وخلصه بالإيمان. وهذا بدوره لا بد أن يجلب اللعنة على الإنسان كما لاحظنا قبل قليل. ولهذا أتى المسيح لكي يفتدينا من لعنة الناموس هذه، لأنه أخذ اللعنة عوضاً عنا بموته الكفاري على خشبة الصليب. أي أخذ لعنة كسرنا لوصايا الناموس أو الشريعة بدلاً عنا. فهو أخذ مكاننا لكي ننجو نحن. وتأكيذا لذلك فقد جاء في الشريعة: "وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت، فقتل وعلقتة على خشبة. فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم. لأن المعلق ملعون من الله." (سفر تثنية ٢١: ٢٢ و٢٣)

إن المخلص المسيح يا صديقي إذن قد صار لعنة لأجلنا، وذلك كما أضاف الرسول بولس قائلاً: "لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع لننال بالإيمان موعد الروح." (غلاطية ٣: ١٤) إن هدف الله إذن من صيرورة المسيح لعنة لأجلنا، هو أن يجعل بركة إبراهيم تشمل كل من يؤمن في المخلص المسيح، أي يحصل على خلاص الله وتبريره. وينال أيضا موعد سكنى الروح القدس بداخله.

ألا ترغب يا صديقي أن تحصل على خلاص الله وغفرانه لخطاياك؟ لم لا تأتي الآن بالإيمان القلبي الصادق في المخلص المسيح، الذي أخذ اللعنة عنك بموته الكفاري على الصليب وقيامته المجيدة من بين الأموات؟